وقديمًا قال الأحنف : من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يبصره ...

وقد لاحظنا على الخلافة العباسية انحرافات شتَّى . .

أ ــ لقد أنشئ جهاز للترجمة ، وهذا حسن فإن الرسالة الإسلامية عالمية ويجب أن تنفتح على أقطار الأرض قاصيها ودانيها ، فهل استغل ذلك الجهاز فى نشر تعاليم الإسلام ؟ كلا ، لقد استغلَّ فى نقل معارف الأمم الأخرى إلينا . . !

وهكذا بدل أن نعلِّم الآخرين ما لدينا من وحى شرعنا نتعلم ما عند الآخرين من فكر .

ويبدو أن النَّقَلَةَ فتنوا بالجديد الذى ترجموه ، وأخذوا يوائمون بينه وبين ما عندهم ، فإذا الجوّ الثقافى يشحن بغيوم ، أظلمت معها الآفاق ، وكانت فتن لا حصر لها . . .

إن المحور الفكرى الذى صنعه الإسلام ، هو دراسة الكون ، ذلك الكون الذى أبدعه خالقه ، ثم أقسم بسمائه وأرضه وليله ونهاره وأنجمه ورياحه ووالده ومولوده ، وامتدت الأقسام ، حتى شملت أجزاء الزمان والمكان ، وصوَّرت آفاق الجمال فى الضوء والظلمة ! تَدَبَّر قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق * والليل وما وسق * والقمر إذا اتسق* لتركبن طبقًا عن طبق ﴾[1] .

إن هذا المحور القرآنى يبنى الإيمان على التأمل المادّى والعقلى كما شرحنا آنفا ويبنى عليه كذلك منافع الإنسان القريبة والبعيدة ! أما الفلسفة الإغريقية فهى تجريدية تبتعد بالفكر عن المادة ، وتَعْبُر المحسوسات إلى قضايا وهمية ، ولم يأخذ العالم طريقه إلى الأمام ، إلا يوم أن خلّفها وراءه ، وأعادته الفطرة السليمة إلى منطق القرآن العلمى والعملى !

إننى أحب أن أطلع على كل ما لدى الآخرين من حق وخرافة ، ويؤسفنى أن عصر الترجمة أضرنا ولم ينفعنا ، وأننا بدل أن نهدى سكان الأرض بوحى الله الذى شرفنا به نقلنا إلى بلادنا الأوهام ، وسمحنا لها أن تزاحم الحقائق الجليلة . . .

ب ــ ولقد استبحرت علوم الدين والأدب فى العصر العباسى ، وقامت أسواق رائجة لأنواع المعارف والفنون فى المدائن والقرى . . كان أكثر ذلك شعبيا ، وأقله

---

(١) الانشقاق : ١٦ ـ ١٩ .